حزنا تعدى منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما
اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل الى اخره ورواته لم ينقطع
عنه تمام اي الاتيان على انه يوضح ان اسرافيل اتاه في الابتدا
لم ينقطع مجيء جبريل فكان يختلفان في المجيء اليه زيادة الكرام
له من ربه وقد صرح في فتح الباري بانه ليس المراد بفترة الوحي
المقدرة بثلاث سنين ما بين نزول اقرأ و يا ايها المدثر عدم مجيء جبريل
اليه بل تأخر نزول القرآن فقط انتهى فتعين
ان نبوته عليه السلام كانت متقدمة على رسالته من جملة ما ساقه
فهو قائل انما كان بعد الفترة الواقعة بعد النبوة لانزول
ابو عمر ابن عبد البر وغيره كما حكاه ابو امامة بن النقاش قال
الاولى الحالة بيان لسبق نبوته من نزول سورة اقرأ
ونزول سورة المدثر ارساله بالنذارة والبشارة والتشريع دهرا
قطعا متأخر عن الاول تبعيد المدني وهو سبق النبوة لانه
لما كانت سورة اقرأ متضمنة لاطوار جمع طور اي احوال
الادمي من الخلق والتعليم والانعام ناسب ان يكون اول
سورة انزلت وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو ان يذكر
تعالى ما اسداه اي نعمه عليه السلام من العلم
والفهم والحكمة والنبوة وبمن عليه بذكر من موضع بفتح
الميم وكسر الراء اي موضع ظهور تعريف عباده بما اسداه اي
صلاته اليهم من نعمه الباطن الفهمي والنطقي والخطي ثم
يامره سبحانه وتعالى ان ينذر فينذر عباده فلهذه النكتة
كانت النبوة سابقة وقيل هما متقاربان وذكر شيخنا فيما مر
عن بعض شيوخه الله الفصيح قال ويؤيده ان الوضوء والصلاة
كان اول الوحي مع نزول اقرأ فان معاداه انه لم يامر خديجة
وعليا بهما الا بعد الوحي اليه بذلك وهذا يعين الرسالة
اصحابها بها لا يمنع لجواز ان امر التبليغ خاص لمن علم اجابته
وعمم اجابته لما كان يصلي مستخفيا والله اعلم بحقيقة ذلك

ذكر من امن بالله ورسوله

وكان اول بالنصب من امن بالله وصدق عطف تفسير فالايمان
التصديق صديقة بالرفع اسم كان ويجوز عكسه واول
ذا المجهول الادلة واضافها للقول النساء اي الدائمة الصديق
منهن مع اختصاص الصديقية بالنساء دفعا لتوهم انها صديقة
الامة فيتوهم تمييزها على ابي بكر خديجة قاله ابن اسحاق والزهري
ابن عتبة والواقدي والاموي وعليه قال الثوري وغيره
عند جماعة من المحققين وحكى الثعلبي وابن عبد البر والسهيلي عليه

الاتفاق

الاتفاق وقال ابن الاثير لم يتقدمها رجل ولا امراة باجماع المسلمين فقامت
اعباء اي بالمشاق التي يتطلب تحملها رفق حقوق الصديقة والاعباء في
الاصل الثقل فشبه الاحوال بها مبالغة ودليل قيامها بذلك الحقوق
انه قال لها عليه السلام لما رجع يرجف فؤاده تتدعي جبريل له
خشيت على نفسي فقالت له ابشر كما قطع بوالله لا يخزيك الله
ابدا ثم استدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقري
الضيف وحمل الكل والاخلاق الزكية الصحيحة اي الملكات الحاملة
على الافعال الحسنة والشيم بمعنى الاخلاق فالعطف مساو
وعطفهما على الصفات عطف سبب على مسبب على ان من
كان كذلك لا يخزى ابدا وهو من بديع علمها او قوة عارضتها
قال ابن اسحاق وازرته على امره فخفف الله بذلك عنه فكان
لا يسمع شيئا يكرهه من رد وتكذيب له فيحزنه الا فرج الله عنه بها اذا
رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر
الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جازاها الله سبحانه وتعالى
فبعث جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بغار
حراء كما في رواية الطبراني وقال له اقرأ عليها السلام من ربها
ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب
كما في الصحيح وعند الطبراني فقالت هو السلام ومنه السلام
وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله
السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها حيث جعلت
مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما
يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هو اللؤلؤ المجوف وابدى
السهيلي لنفي الصخب والنصب لطيفة وهي انه صلى
الله عليه وسلم لما دعا الى الايمان طوعا لم تحوجه لرفع صوت
ولا منازعة ولا نصب بل ازالت عنه كل نصب وانسته من
كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب ان تكون منزلتها
التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي
الله عنها واقرا السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها ولم
تسوءه صلى الله عليه وسلم قط ولم تغاضبه وجازاها
فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امراة
غيرها من زوجاته وكان اول بالنصب والرفع على ما مر من الحكم
ذكر امن بعدها صديق الامة لسبقه لتصديق النبي صلى
الله عليه وسلم وروى الطبراني برجال ثقات ان عليا كان
يحلف بالله ان الله انزل اسم ابي بكر من السماء الصديق
الرابع فلا مرجح لذلك اي وقيل كان ابتدا تسميته بذلك
صبيحة الاسرا واسبقها اي الامة بعد خديجة الى الاسلام ابو
بكر بدل او عطف بيان لصديق على انه اسم كان وعلى انه خبرها

Copyright King Saud University